

روح المعاني

لعنتيلعنني إلى يوم الدين أي إنك مذموم مدعو عليك باللعنة إلى ذلك اليوم فاذا جاء اليوم لقيت ما تنسى اللعن معه فكأنه قيل : خسر المكذبون إلى يوم قيام الساعة بانواع المحن والبلاء فإذا قامت الساعة يقعون فيما ينسون معه هذا الخسران وذلك هو الخسران المبين بغتة أي فجأو وبغتة بالتحريك مثلها وبغتة كمنعة فجأة أي هجم عليه من غير شعور وانتصابها على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أي مباغتة او من مفعوله أي مبغوتين وجوز أن تكون منصوبة على أنها مفعول مطلق لجاءتهم على حد رجح القهقري أو لفعل مقدر من اللفظ أو من غيره وقوله سبحانه وتعالى : قالوا جواب إذا يا حسرتنا نداء للحسرة وهي شدة الندم كأنه قيل : يا حسرتنا تعالى فهذا أوانك قيل : وهذا التحسر وإن كان يعترئهم عند الموت لكن لما كان الموت من مقدمات الآخرة جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة وقال ابو البقاء : التقدير يا حسرة احضري هذا أو انك وهو نداء مجازي ومعناه تنبيه أنفسهم لتذكير أسباب الحسرة لأن الحسرة نفسها لا تطلب ولا يتأتى إقبالها وإنما المعنى على المبالغة في ذلك حتى كأنهم ذهلبوا فنادوها ومثل ذلك نداء الويل ونحوه ولا يخفى حسنه .

على ما فرطنا أي على تفريطنا فما مصدرية فالتفريط التقصير فيما قدر على فعله وقال ابو عبيدة معناه التضييع وقال ابن بحر : معناه السبق ومنه الفارط للسابق ومعنى فرط خلا السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كجلدت البعير أرلت جلده وسلبته فيها أي الحياة الدنيا كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أو في الساعة كما روي عن الحسن والمراد من التفريط في الساعة التقصير في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان والاعمال الصالحة وقيل : الضمير للجنة أي على ما فرطنا في طلبها ونسب إلى السدي ولا يخفى بعده وقول الطبرسي ويدل عليه ما رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي A أنه قال في هذه الآية : يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا الخ لا يخلوا من نظر لقيام الاحتمال بعد وهو يبطل الاستدلال وعن محمد بن جرير أن الهاء يعود إلى الصفة لدلالة الخسران عليها وهو بعيد أيضا ومثل ذلك ما قيل : إن ما موصولة بمعنى التي والمراد بها الاعمال والضمير عائد إليها كأنه قيل يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي قصرنا فيها نعم مرجع الضمير على هذا مذكور في كلامهم دونه على الأقوال السابقة فانه غير مذكور فيه بل ولا في كلامه تعالى في قص حال هؤلاء القائلين على القول الأول عند بعض فتدبر وهم يحملون أوزارهم على

ظهورهم في موضع الحال من فاعل قالوا وهي حال مقارنة أو مقدرة والوزر في الأصل الثقل ويقال الذنب وهو المراد هنا أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما تعالى عنهما وذكر الظهور لأن المعتاد لأغلب الحمل عليها كما في كسبت أيديكم فإن الكسب في الأكثر بالأيدي وفي ذلك أيضا إشارة إلى مزيد ثقل المحمول وجعل الذنوب والآثام محمولة على الظر من باب الاستعارة التمثيلية والمراد بيان سوء حالهم وشدة ما يجدونه من المشقة والآلام والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب وقيل : حملها على الظهر حقيقة وإنها تجسم فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال : ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب